CC BY



# المرحلة الحضاريَّة ودراسات الاستشراق– المجتمع العربي وثنائية الشرق والغرب – دراسة تحليليَّة

شفيق إبراهيم صالح * و نادية صباح الكبابجي**

تأريخ التقديم: 2022/10/1 تأريخ القبول: 2022/10/15

المستخلص:

حَرصَ البحث على تقديم مصطلح– المرحلة الحضارية من حيث المفهوم والفاعلية، بوصفه أَحد مصطلحات علم الاجتماع الحديثة لدراسة العلاقة بين الشرق والغرب ببحث الموقف الاستشراقي ومراحله التاريخية، بتناول عدد من الجهود الاستشراقيَّة ممثلة بدانيال ليرنر في نظريته عن التحول الديمقراطي، وجاك بيرك من منطلق نقدهِ للحداثة الغربية، وميجل أسين بلاثيوس بعنايته في الفكر الإسلامي، من زاوية علم الاجتماع بالعرض والتفسير النقدي. وانتهى البحث إلى أن للاستشراق منطلقات تماشت ومنطلقات المرحلة الحضارية من باب الثائنية التفاعلية لعلاقة الشرق بالغرب.

الكلمات المفتاحية: المرحلة الحضارية , الاستشراق , الفاعلية , المجتمع العربي.

-المقدمة:

للقوة دور فاعل على مر التاريخ، يقوم في الأصل على القوة العسكرية والثقافية والدينية والاقتصادية لتشكل أداة تفرض وجودها على ما دونها، إلَّا أَنَّه في الغالب هناك مرحلة حضارية تتجاوز مفهوم القوة لتمتد إلى ما بعد القوة المهيمنة للدولة العظمى، وزودنا التاريخ كثيراً بهذه المراحل الحضارية منها على سبيل المثال المرحلة الحضارية لالتقاء الشرق بالغرب في المرحلة الهلينستية بعد فتوحات الاسكندر المقدوني.

* أُستاذ/قسم علم الاجتماع/كلية الآداب/جامعة الموصل.

** أُستاذ/قسم علم الاجتماع/كلية الآداب/جامعة الموصل.

وفي تصورنا أَنَّ الاستشراق مَثَلَ مرحلة حضارية حاولنا التأصيل لها وظاهرةَ حضاريةَ عالمية امتدت تأثيراتها في محليتها الأُوربيَّة في العناية بالشرق إلى عالميتها الإنسانية، بتطلعاتها العلمية التي تجاوزت المصالح الاستعمارية التي رافقت ظهورها، وهو ما حاولنا تبيانه بمنهجية علمية استندت إلى التسلسل المنطقي في السرد العلمي.

وضمن هذا السياق يمكن تحديد مشكلة البحث( بامكانية توظيف مصطلح المرحلة الحضارية في دراسة الاستشراق كدالة ثنائية للعلاقة بين الشرق والغرب) , وتأتي أهمية المشكلة في تطبيق ( مصطلح المرحلة الحضارية ) في الدراسات الاجتماعية , وهو هدف الدراسة , الذي تتجلى قيمته الأكاديمية.

فتناول البحث: المرحلة الحضارية- المفهوم والفاعلية وعرج على الاستشراق وتصانيف الدراسات فيه، ثم الموقف الاستشراقي ومراحله التاريخية ودراسة المجتمع العربي كدالة لثنائية الشرق والغرب في الدراسات الاستشراقيَّة، وأخيرًا تناول هذه الدالة ضمن نطاق مفهوم وفاعلية المرحلة الحضارية، ثم ختم البحث بخاتمة بعد أن قُدِمَ له بمقدمة.

-المبحث الاول : المرحلة الحضارية- المفهوم والفاعلية

المرحلة الحضارية هي حقبة زمنية تطول أو تقصر لها خصائص عديدة تطغى مفاهيمها على العالم اجمع، فيتوجه الخطاب الاجتماعي إليها، كما أنها تصبغه بشكل أو بآخر، وإلى جانب عالميتها، تشمل أيضاً الأقطار والأمم كل على حدا فتكون محلية فهي (محلعالمية).

إن (المحلعالمية) ظاهرة اجتماعية، واحدة الجوهر وأن تمايزت المحلية عن العالمية، والعكس صحيح، بما لكل محيط من خصائص مقتصرة عليه ثم تعود لتشكل بالوحدة في التأثير على الواقع نظرية وواقعه في شكل المحلعالمية.

وعلى مرّ التاريخ كانت هذه المرحلة الحضارية موجودة فيه ومن امثلتها في عمق التاريخ تشكيل الأُسر الحاكمة في بلاد الرافدين ومصر حيث أولى الحضارات فكان خطاب هذه المرحلة التي امتدت لمئات السنين تشكيل الدول وبناء

الامبراطوريات، مسخرة كل الامكانات لهذا الهدف، وكانت الامبراطوريتين الرومانية والفارسية امتداد لهذه المرحلة وحتى اواخر العهد الاموي ومطلع العصر العباسي الأول في المشرق وتشكيل الدولة الأُموية في الأَندلس على يد عبد الرحمن الداخل.

أَمَّا المرحلة الحضارية في العصور الوسطى التي كانت شغل العالم الشاغل فهي علمية حيث نشط العلم في حاضرتي العالم الإِسلامي في قرطبة الأَندلس وبغداد المشرق وبالطبع قاهرة الفاطميين، حتى تجد العالم اجمع, أُوروبا في الغرب، والهند والصين في المشرق يلتمسون العلم في حواضر العالم الإِسلامي واستمرت هذه المرحلة مئات السنين، ولفاعليتها نجدها أنها قد أستمرت حتى بعد تفكك الدولة الإِسلامية حيث حرص امراؤها على اذكاء العلم في مجالسهم فكان عصر العلم العربي عصر التبلور في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي زمن التفتت السياسي، أَمَّا في أوروبا فقد كانت القلوب تتطلع إلى المشرق للنهل من علمه، وقد احسنت أوروبا فيما بعد بالاستفادة منه في الوقت الذي اضاعه العرب في قرون لاحقة.

ولا تكاد تنتهي هذه العصور حتى صارت الحروب الصليبية هي المرحلة الحضارية التي تهيمن على ثقافة العالم فكان العالمين (الإِسلامي- المسيحي) منشغل بها.

أَمَّا مع حلول القرن الخامس عشر وحتى مطلع أو منتصف القرن العشرين فقد كانت المرحلة الحضارية هي صناعية- استعمارية، صناعية أوربية طغت على العالم، بوجهها العسكري وكذلك الثقافي من منطلق المتحكم في الآخر، وواجهها (الآخر) عسكرياً بالمقاومة وثقافياً بالنهول من حضارتها وأن انتصر بعد زمن طويل، عاد إلى أُوربا من جديد لمحاكاتها صناعيًا.

أَمَّا بعد انتصاف القرن العشرين فقد شهد العالم اكثر من مرحلة حضارية، منها على التوالي مرحلة الكفاح المسلح لنيل الحرية ليس على مستوى الشعوب المقهورة وحسب بل على مستوى الدول المستعمرة.. فلا يخفى دور المثقفين الفرنسيين في دعم الشعوب المستعمرة، فكانت بذلك المرحلة الحضارية مرحلة الدعوة للتحرير وقد نالت العديد من بلدان العرب استقلالها خلال هذه المرحلة.

كما شهد العالم المرحلة الحضارية المسماة بثورة الشباب من اقصى العالم إلى اقصاه في ثورات عديدة انطلقت من الجامعات ثم مرحلة الثورة المعلوماتية ومنها اجهزة البث الفضائي والشبكة العنكبوتية ومن ثم العولمة وغيرها التي ما زالت مستمرة على مطلع القرن الواحد والعشرين وقد كانت شديدة الانتشار في جميع انحاء العالم.

على أن هذه المراحل الحضارية هي ليست احادية الظهور، بمعنى أن لم تكن تستقم الهيمنة لواحدة دون غيرها فقط، بل أنه قد شهد التاريخ مراحل حضارية ربما كانت متواجدة في نفس الحقبة الزمنية ولكل منهما ذات التأثير على أنه لم يكن لأي واحدة من هذه المراحل الحضور دون رفيقتها في ذات الحقبة الزمنية بل كانتا أو كانت هذه الحقبة متداخلة التأخير مؤثرة ومتأثرة كل واحدة منها بالأُخرى تارة تكون احداها عالمية وأُخرى محلية وتارة العالمية نفسها محلية كما المحلية نفسها عالمية.

ففي حقبة تشكيل الدول الامبراطورية على سبيل المثال كانت هناك حروب الاسكندر وفتوحاته اوضح الامثلة على التداخل ما بين العالمي والمحلي فقد كان العصر الهلنستي عصر المزج الثقافي إذ لاشك كانت المحلية الفلسفية- الاغريقية والفلسفية الشرقية- والقانون الروماني- وقانون كل الأمم والدول التي فتحها الاسكندر المقدوني كانت من جهة محلية صارت عالمية فكانت هذه المرحلة (محلعامية).

أَمَّا المرحلة الاستعمارية فقد كانت مرحلتها الحضارية العلمية استعمارية قد نمت وحفزت المرحلة الحضارية في الدول التي استعمرتها أُوربا فكانت المرحلة الحضارية في المناطق المستعمرة تؤكد على النضال والتحرر والمقاومة، ولاشك أن كلا المرحلتين شكلتا المرحلة الحضارية العالمية فكانتا بوجه أو بآخر مرحلة حضارية محلعالمية.

أَمَّا في مرحلة الثورة المعلوماتية الحضارية فقد شهدت هي الأُخرى مراحل حضارية لها نفس الانتشار، منها على سبيل المثال مرحلة الحرب على الإرهاب، فهذا

العالم كله، داخل في صراع مع الإرهاب كما أنه ميدان لهذا الإرهاب الذي يحاربه فكانت هذه المرحلة كغيرها محلعالمية.

وبالطبع هناك الكثير من الشواهد على مفهوم المرحلة الحضارية وأن لم تتسمَ نذكر منها على سبيل المثال، ما اطلق على القرن الثامن عشر بأَنَّه عصر العلم والقرن التاسع بأنه عصر الايدلوجيا وسواها... من التسميات وأَكاديميًا تم طرح مفاهيم تتماثل ومفهوم المرحلة الحضارية من حيث المعنى والوظيفة منها مفهوم النظام الاجتماعي لايمانويل فالرشتاين الذي درجه في كتابه النظام العالمي الحديث عام(1974)، ووفقاً لما يراه فالرشتاين فأن النظام الاجتماعي وحدة متضمنة ذاتياً فيها تقسيم كامل للعمل، تمتد عبر العديد من الثقافات قد لا تغطي العالم اجمع لكنها بالنسبة إلى سكان العالم عوالم كاملة لأنها تتضمن شعوباً مختلفة، وتتضمن مجموعات من الأنشطة التي تلبي كل احتياجات اولئك الذين يعيشون فيها.

على أن طرح فالرشتاين واجه النقد من اندريه غوندر فرانك في بحوثه حول التخلف في امريكا اللاتينية في كتابه (تجديد الشرق: الاقتصادي العالمي في العصر الآسيوي) الصادر عام 1998، فقد رفض اندريه غوندر فرانك التصورات المسبقة عن تميز حضارات بعينها، والولع بالمركزية الأوربية التي وجدها عند فالرشتاين، لكنه لم يرفض مفهومه عن النظام العالمي (العالمية) ورأى أنه حيثما توجد اختلافات جوهرية في ما بينها (الأنظمة والنشاطات التي تشكل النظام العالمي) فرد ذلك إلى التفاعلات داخل النظام العالمي (المحلية)، وهكذا وجدنا طرح المفهوم العام للتاريخ يدخل ضمن ما اسميناه بالمرحلة الحضارية المحلعامية.

ولا يمكن إِعطاء متغير أو نسق أو مفهوم أو عنصر مادي أو ثقافي أو معنوي واحد الأفضلية أو الفاعلية في المرحلة الحضارية، أنها بناء عام شامل للكل الاجتماعي- المجتمع- العادات والتقاليد- الثقافة- السكان- الاثنيات- القوميات والاديان وكل ما يمكن الحاقه بالمجتمع، وأيضاً للكل الاقتصادي: رأسمالي واشتراكي ومختلط وخصخصة واقتصاد حرفي وأَدوات إِنتاج وصناعة وزراعة بدائية ومتقدمة وكل ما يمكن الحاقه بالاقتصاد، وأيضاً الكل الديني- إسلام ومسيحية ويهودية وبوذية وكنفوشيوسية وهندوسية وغيرها من أَديان بشعائرها وطقوسها واحكامها وشرائعها

وكل ما يمكن الحاقه بالدين. وأيضاً الكل الثقافي: من ثقافة نظرية وسلوكية، نمطية، متغيرة مفتوحة ومغلقة وعالمية ومحلية واثنية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية فرعية أو كلية وكل ما يمكن الحاقه بالثقافة. وأيضاً الكل السياسي: ديمقراطي ودكتاتوري ملكي وجمهوري واميري ثيوقراطي واحزاب وبرلمانات وانتخابات ومجتمع مدني وكل ما يلحق يالسياسي، وأيضاً الكل الترفيهي وما يلحقه وأيضاً كل الحياة اليومية وعناصرها ناس بضائع تفاعل مباشر وغير مباشر. وعموماً كل البناء الاجتماعي بلغة الانثروبولوجين والنظام الاجتماعي بلغة السوسيولوجيين والمجتمع بما فيه من مكونات على اختلاف انواعها بلغتهما معاً. وكل الدولة واركانها بلغة السياسيين.

كما أَنَّها (المرحلة الحضارية) بناء عام شامل لجميع العلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافية والتطبيقية والصرفة وكل ما يمكن الحاقه بها مثالية أو واقعية متقدمة أو تشق طريقها نحو التقدم. وبعبارة اشمل هي كل الماضي تخلفه وازدهاره، خيره وشره، ما امتد تأثيره بشكل مباشر أو غير مباشر مسيس أو علمي، متحكم في المجتمع أو يستشهد به لأغراض وغايات، كما أن المرحلة الحضارية تنطوي على الحاضر بكله الذي أسلفناه.

إِنَّ مكونات المرحلة الحضارية لا يقف كل واحد منها بمعزل واستقلال وإنما هي في تداخل مع بعضها البعض في المفهومات والمتغيرات الحضارية، يقوم كل واحد منها بدورين داخلي لبنائه وخارجي لباقي المكونات.

وطبيعة هذه العلاقات ليست على مستوى واحد في تفاعلها، فهي قد تبلغ من التماهي مع أحد المكونات وتقضي حد القطيعة علاقتها مع آخر، متوازنة مع آخر، مهيمنة على آخر، واهبة لآخر، ناهبة لآخر على مستوى المجتمع والعلوم غي علاقات افقية تارة وعمودية تارة أُخرى مازجة بين الأفقي والعمودي في العلاقات تارة ثالثة.

يمتزج فيها المحلي بالعالمي حدًا يضيق فيه المحلي وينحصر حتى يتلاشى مرة أو تبقى آثاره منظورة، أو يطوع فيها العالمي للمحلي حتى يصبح العالمي

محلي، على مستويات المجتمع الداخلية بثقافاته الفرعية أو الوطنية فيصبح المحلي والعالمي وتداخلاتهما هوية وطنية توصف لدى بعض المجتمعات بالمنفتحة وأُخرى بالمنغلقة. كل ذلك التداخل في المرحلة الحضارية يتم في مستويات من الزمن الاجتماعي المتمثل بتصرفات عموم ثقافة المجتمع بمحددات ومفاهيم المرحلة الحضارية.

إن التداخل بين المكونات الحضارية لا يعني أن تتمتع كلها بنفس الدرجة من التأثير الحضاري الذي تمارسه على المجتمع ذلك أن التماهي والتقاطع بين مستويات المكونات لا يحدد الدور الوظيفي له، بل أن ما يحدد المفهوم الوظيفي للمرحلة الحضارية هو طغيان احد المكونات والتماهي معه على بقية المكونات التي تدخل في تشكيل المرحلة الحضارية، التي لا يتجاوز دورها الوظيفي التكميل الحضاري لدور المكون الحضاري المهيمن على المرحلة الحضارية.

وهذا ما يقود إلى سيادة الطابع الكلي للمكون الحضاري المهيمن على باقي مكونات المرحلة الحضارية فتصبغ به.

ولاشك أن الفاعلية للمرحلة الحضارية لا يعتمد مفهومها في القوة فيما تمارسه من قهرية لانتشارها بمفهوم القوة والقدرة على الفعل عند فيبر وأنصاره والتي تسمح بالهيمنة حيث تتطلب التناظر حول مصالح وأَهداف المشاركين المتضاربة أصلاً. كما أنها ستؤدي من جانب آخر إلى توليد المقاومة، وأن هذه المقاومة بدورها نوع من انواع السلطة وذلك لأن المرحلة الحضارية لا تنبني على اساس وجود طرفين متنازعين لهما أَهداف مشتركة وإنما هي تشكيل كلي لمجموعة من المكونات التي يتشكل منها البناء الاجتماعي المحلي والعالمي، تمارس هيمنة كلية لا يترتب عليها أية مقاومة، بل يترتب عليها تماهي يتمنطق لغتها ومعارضها يتبنى ذات الآليات التي تسودها.

المبحث الثاني : المرحلة الحضارية العالمية:

من اجل فهم فعل وفاعلية المرحلة الحضارية وفق التأصيل الذي أَسلفنا من المفيد الاستعانة بمثال تطبيقي على مفهوم المرحلة الحضارية العالمية مطلع الالفية الثالثة.

إن المرحلة الحضارية تشهد طغيان للفكر والسلوك الاجتماعي حول مكون أو اثنين من مكوناتها.. ثم تسخر كل مكوناتها لخدمة النمط الطاغي ولعل متضمنات المرحلة الحضارية التي يعيشها المجتمع العالمي والمجتمعات المحلية أواخر الالفية الثانية ومطلع الالفية الثالثة تمثلت بالعولمة والإرهاب والعنف، أَمَّا العولمة فقد تضمَّنت ظواهر اربع هو الثورة الالكترونية، والقضاء على الاستعمار وانشاء مساحات اجتماعية عبر الحدود القومية ثم اشكال جديدة للعالمية تمكن الناس والجماعات من بناء هويات متعددة.

وهذا التضمين يكشف عن عشوائية النسق المحدد للعولمة كمرحلة حضارية حيث تمتزج الثقافة وهي نسق محلي لأُوربا الغربية محصوراً داخلها، سمح (الجانب العسكري بالخروج من محليتها صوب العالم باستعماره، واجه مقاومة أَفضت بالنتيجة إلى طرد المستعمر عسكرياً من أَرضه، لكنَّه لم يستطع اخراجه ثقافياً بفعل حاجته لمنتجاته (المستعمر) الذي تشكل بهيئة العولمة الرأسمالية التي تجاوزت الحدود القومية بفعل قهريتها غير المحددة بنسق معين كما ذهب علماء القوة والسياسة ففي الوقت الذي كانت العولمة تقام (تنبني) كأحد أَشكال الرأسمالية لم تستطع المجتمعات المحلية غير الغربية مقاومتها كأحد اوجه الثقافة العالمية التي ساعدت ونمت بشكل مضاد من بناء للهويات الثقافية بالتأكيد على دورها الاجتماعي فكان أن تنامت العولمة في بناء نسقي مغاير غربي مختلف وخارج عن نظامه الاجتماعي وبنائه النسقي، مسخراً اياه للاستنهال معاكسة رافضة ومتماهية لنسق العولمة التي انقسمت الآراء تجاهها ما بين كونها مادية غربية وأُخرى تراها توجهاً ثقافياً وما بين قدرتها على الانتشار وبين المقاومة المتماهية معها، أدى بالعديد إلى الاستسلام لموقف ثابت من المناهضة للعولمة مؤمنين بأن الامور سوف تزداد سواءً (يعني سيطرة) ليس في يد احد أن يقوم بأي شيء حيال ذلك، وهكذا ما يكسبها ميزتها كمرحلة حضارية امتزجت فيها الثقافة العالمية بالثقافة المحلية في هيئة المحلعالمية، وصارت حسب علماء التفاعلية الرمزية تمتلك الحس المشترك والعميق بكونها الفاعلية في الحياة الاجتماعية وحسب متضمنات القدرة على الفعل لأن التكرار في كونها حاجة عصرية

وتركيزها على نمو انتقائي على التقنية وفرض ثقافة جديدة طعمتها على مستوى التبادل المجتمعات المتلقية لها بطابعها الثقافي على نحو جزئي وبشكل اسقاطي استعانت به المجتمعات المتلقية، كفاعلين (فاعلة بفعل اجتماعي) فيما توفر من ابتكار من الآخر، انتهى بالعمل والتقييم على المواقف التي تناولت كيفية العمل.

واضيف إلى المرحلة الحضارية العالمية عقب هجمات سبتمبر (2001) سيادة القطب الواحد الذي تمثل بهيمنة الولايات المتحدة على ساحة العالم فغلب عليها (المرحلة الحضارية العالمية) طابع الصراع فانحسرت ايديولوجيا هنا وأُخرى انتهت، وفي مكان آخر تنازع من أَجل البقاء، فقامت امريكا بحربها في افغانستان والعراق وهنا التقاتل بين الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي على هذه المقاطعة وتلك، والتحشيد على اشده بين الكوريتين، وإحداث التفجيرات في عموم اوروبا وتحشيدها لمحاربة الإرهاب على المستوى العالمي، وتزايد الحروب الأَهليَّة والاقتتال في افريقيا.

أَمَّا على مستوى منطقتنا العربية فيعد الربيع العربي خريفاً قارصاً وخراباً شاملاً ليس على مستوى الدولة وهياكلها المؤسساتية وإنَّما على مستوى شعوبها في شرقها العراق وسوريا واليمن، وفي غربها ليبيا وعلى المحك تونس والجزائر والمغرب، وهذا السودان اضحى دولتان، حيث القتل والعنف والتهجير لقد أَدَّى الخريف (الربيع) العربي إلى انهيار للبنية الاجتماعية التقليدية العربية، ولم يعد بالإمكان تصور المجتمع ذلك المكان الذي كنا نجد فيه الأمن واواصر التراحم وامتداد الانتماء الأسري، لأنك قد تجد في داخل الأسرة الواحدة ممن انتموا إلى جماعات مسلحة متصارعة أو متباينة ايدلوجياً.

وتناول عموم متغيرات ومكونات المرحلة الحضارية العالمية يجلي تداخلها بشكل متشابك وعدم سيادة متغير أو مكون وتحد دون غيره، وتشكلها باتجاه المحلعالمية فالتقنية الاوربية– تعد محلية اوربية قد صارت عالمية، فيما احدثته من تغير في ابنية المجتمعات النامية ومحاولتها اللحاق بركب الدول الأُوربية المتقدمة كما أن العولمة كظاهرة عالمية تحولت إلى محلية فيما اولته من عناية بالثقافات الغربية والاهتمام بقضايا المجتمع المدني، ولعل سياسة القطب الواحد تفضل مثال على ذلك

التداخل فيما انتهجته الولايات المتحدة من سياسات صار بموجبه عالمي فصار العالم شامل للكل الاجتماعي والسياسي والثقافي والديني.

كما امتد هذا التداخل إلى مستوى العلوم التي تأثرت هي الأُخرى بالثقافة والعولمة، فصارت هناك جامعات ذكية، وتعليم مفتوح، ما كانا ليقوما لولا ركنا الثقافة والعولمة.

إنَّ هذا الامتزاج بين متغيرات ومكونات المرحلة الحضارية يؤيد مبدأ الفاعلية على مستوى العلاقات والتفاعل والممارسات ليس على أَساس التنازع بين طرفين، وإنما على مستوى المصالح التي تتحقق بين جميع الاطراف المتباينة بالعلاقات والتفاعل على أــنه في قضية المصالح أن نوضح.. بعض القضايا.

من هم ذوي المصالح... سواء كانوا أَفراداً أم جماعات أم مؤسسات أم مجتمعات. وهذه قضية بالغة الاهمية ذلك أنه في المرحلة الحضارية يكون جميع هؤلاء مستفيدين كما أنه جميعهم يكونون في موقع المتلقي، وهذا يتوقف على طبيعة النظام السياسي والاقتصادي وطبيعة نمط الحياة (الحضرية) من جهة أُخرى.

فالأفراد في المجتمعات الرأسمالية لاشكَّ متفاوتون في مقدار مصلحتهم التي تنحسر في أَصحاب الشركات أو رؤوس الأموال وهم بتحديد أدق أَصحاب القوة التي اخبرنا عنها(س. رايت. ميلز) كنموذج أَمريكي للعالم الرأسمالي، أَمَّا الأَفراد في المجتمعات النامية فهم الطبقة السياسية إلى حد كبير، وإذا كان الأَفراد في كلا المجتمعات (الرأسمالية والنامية) هم الذين تأتي مصلتهم بالدرجة الثانية، إِلَّا أَنَّه هناك في واقع (الدرجة الثانية) تفاوت فالدرجة الثانية في المجتمعات الرأسمالية لها دورها ومصلحتها التي ضمنها النظام السياسي والحرية التي يوفرها على حين أن الأَفراد في المجتمعات النامية تتلاشى مصالحها إلى الحد الذي تنعدم فيه على وجود الانظمة الدكتاتورية.

وتنسحب هذه المماثلة على بقية ذوي المصالح من جماعات ومؤسسات ومجتمعات فالمرحلة الحضارية تدور حول دور القوة لصاحب المصلحة؛ إِذ ليس من المعقول كشاهد على قولنا حول محور القوة، أن نقول إِنَّ المرحلة الحضارية في

العالم اليوم تدور حول القوة الاقتصادية لجنوب شرق آسيا أو القوة الاقتصادية لليابان، فمع اهميتها البالغة أَجزاءً ضمن المرحلة الحضارية؛ لانحسار دورهما في إلزام أي دولة في العالم حتى لو مارستا عقوبات اقتصادية إلَّا أَنَّ العقوبة الاقتصادية التي تفرضها الولايات المتحدة لها فاعليتها حتى على الدول الكبرى ولعل عقوباتها الاقتصادية على الدول النامية تكون اكثر من مرهقة.

وضمن اطار الاستشراق فلاشك أنه شكل مرحلة حضارية عالمية تشكلت في أوربا لمعرفة واستكناه الشرق، وبغض النظر عن نوايا هذه المرحلة، فأنها كانت شاملة على مختلف الأصعدة فهي من الناحية العسكرية قد سُخرت من الدول التي جعلت الشرق محط اهتمامها، وهدفاً لغزواتها، طمعاً في ثرواته، وعلى الرغم من امتداداته التاريخية على شكل جهود فردية، إلا أن القرن التاسع عشر يعتبر قرن تأسيس الاستشراق بأوربا بوصفه فعلاً معرفياً متخصصاً ففي هذا القرن زادت العناية الأوربي بالشرق بين مجموعة من الرومانسيين الذين وجدوا في الشرق مجالاً رحباً وخصباً لتجاربهم الأدبية، وفي هذا القرن أيضاً زادت العناية بالأعداد لمعرفة الشرق للاستجابة لمختلف الضرورات التجارية والدوافع السياسية والاستعمارية والتاريخية بمختلف الوسائل والامكانات المتعددة ومن تلك الوسائل تأسيس مدارس اللغات الشرقية والجمعيات الآسيوية والفرنسية والإنجليزية والالمانية ودورياتها الخاصة وتنظيم المؤتمرات الاستشراقية الخاصة المنعقدة منها في باريس.

وقابل هذه العالمية في العناية بالاستشراق الجهود المحلية العربية في العناية خاصة الجهود الإصلاحية زمن محمد علي باشا والي مصر وجهود خير الدين في تونس، وامتداداتهما في النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر، فشكل الاستشراق ظاهرة محلعالمية طغت على كتابات المفكرين من جهة وجهود الغرب في الدخول إلى هذا الشرق بمختلف الوسائل بما فيها العسكرية، فشكل الاستشراق ظاهرة عالمية سخرت الجامعات الأوربية جهودها للدراسة والبحث والبعثات تداخلت برغبات مفكري الشرق ونهضتهم الفكرية وجهودهم الاصلاحية.

إلَّا أَنَّ الفاعلية لمرحلة الاستشراق الحضارية كانت لجهود الغربيين، للإمكانات التي كانوا يتمتعون بها على مختلف الاصعدة مقابل الجهود الفردية

لإمكانات الشرق المحدودة، التي حاولت بعض اطرافها التماهي مع جهود الاستشراقيين.

لقد شكل الاستشراق كاتجاه فكري ومنهجي أحد صور الثنائية بين الشرق والغرب بالاكتشافات الهائلة للإنتاج الفكري الشرقي، لتاريخ العرب كممثلين أصليين للشرق بما اولته الدراسات الاستشراقية من جهود لتحصيل واظهار العلم العربي أو الأدب العربي أو الفلسفة العربية، وأيضاً كان المجتمع العربي مثالاً حياً لتلك الثنائية بالدراسات الاجتماعية له، ولتنظيماته.

المبحث الثالث : تصانيف الدراسات الاستشراقية :

هناك العديد من التعريف للاستشراق.. نأخذ الشائع منها: إنَّه حركة غربية لبعض العلماء الأوربيين اتخذوا من الشرق مادة لدراستهم الاكاديمية للوقوف على حسب تعريف (جوبري) في كتابه علم الشرق وتاريخ العمران مع القوى الروحية الأدبية الكبرى التي اثرت في تكوين الثقافة الإنسانية.

وعموماً يكتسب الشرق مفهوم السلبية لدى المجتمع العربي رغم ما لبعض المستشرقين من جهود كبيرة في دراسة المجتمع والفكر، ولعل افضل التعاريف تلك التي ذكرها ادوارد سعيد: إن الشرق يُشرقن في الاستشراق او هو غزو الشعوب للوقوف على ماهيته، وبالطبع اختلفت مداليل الاستشراق باختلاف الظروف وتباين المواقف الايديولوجية وبالفروق الفردية للمستشرقين، ومن باب آخر يمكن الإشارة إلى تعريف الاستشراق من زاويتين: الأولى منهجية والثانية معرفية، أَمَّا الزاوية المنهجية فهي تناول الشرق بمناهج غربية، والثانية قياس الإنتاج الفكري الشرقي في عمومه بدلالات الثقافة الغربية والحكم على الشرق بدلالة هاتين الزاويتين.

وضمن مديات الاستشراق تعددت وتباينت الموضوعات التي تناولها المستشرقون، وعلى الرغم من تعدد تصانيف تلك الدراسات فإنَّنا نميل إلى تصنيف العناية من حيث كم الموضوعات التي تناولها المستشرقون وقد كانت على النحو الآتي:

1. اللغة والنحو والشعر والأدب العربي

حظيت هذه الموضوعات باهتمام المستشرقين الأكبر، ولعل مصدر ذلك هو ما امتاز به المجتمع العربي من تأكيد عليها فطالما كان الشعر ديوان العرب ومعجزة الإسلام هو القرآن.. لغة واعجازاً.

ومن هؤلاء( إرينيوس )هولندي الجنسية ومواطنه (اسخولتنز وسكاليجييه) فرنسي، و(فلهلم الفرت) الماني.. وسواهم.

2. الدين والمذاهب والفرق والتصوف والفكر الديني

وبغض النظر عن الدوافع وراء بحث هؤلاء، فقد تناولوا الدين الإسلامي وفرقه ومذاهبه وتخصصوا في تصوفهِ وفكر، لما للدين الإسلامي من حضورٍ في وجدان المجتمع العربي وفي بنائه الاجتماعي، وفي سلوكه الإنساني ومن هؤلاء المستشرقين الإنكليزي ادبري والألماني رودولف اشتروتمن والسويسري اشتيز، والنمساوي اشتبينشنيدر وبالمر الانجليزي وسواهم.

3. الفلسفة والسياسة

وفي تاريخ الفلسفة الإسلامية نجد (اشميلدرز)، و(جوتيه ليون) الفرنسي والحقلاني (إبراهيم الماروني )(وامدورز ىنجليزي).

4. التاريخ والفلك

كان هناك المستشرق (باربيه وجوتيه )الفرنسي ومواطنه (سديو) الحفيد للمستشرق الفلكي جاك امانويل سديو وسواهم.

المبحث الرابع : الموقف الاستشراقي ومراحله التاريخيَّة:

الاستشراق لاشك فيه أنَّه حركة فكرية ظهرت مع مطلع القرن الثامن عشر في اهتمامات تتعلق بالأصل باللغة العربية، وكان مصدرها بالأصل الشرق حين تلقى رهبان الكنيسة علومهم في الأندلس، فحرصوا على نقل العلم العربي إلى بلدانهم كما نفعل اليوم نحن فننقل العلم الغربي إلى بلادنا.

وفي فكرنا العربي تباينت المواقف تجاه الاستشراق فهناك من وقف ضده كأحمد فارس الشدياق والأمير شكيب ارسلان ومحمد أسد وغيرهم ممن نقدوا ما قدمه المستشرقون وسفهوه وطعنوا بتوجهه وممن وقف مدافعاً عنهم زكي مبارك وبنت الشاطئ ومحمد غلاب ومحمد كرد علي وعبد الرحمن بدوي.

وهناك موقف ثالث تحفظ على الاستشراق كمحمد روحي فيصل وكان داعياً إلى الأخذ بنظر الاعتبار جهد المستشرقين المخلصين في دراستهم للعرب وتراثهم مجردين عن الهوى.

فهما للمستشرقين في دراستهم لمجتمعنا الشرقي: بعضها علمي وآخر سياسي، يقع ضمن الأول بعض المستشرقين أسين بلاثيوس الذي تكلم عن تأثير الحضارة العربية وفلسفتها في الغرب، وأن هناك من سوق العلم– الفلسفة العربيتان ونسبهما إلى نفسه، وضمن الثاني من وقف ضد الاستعمار مع المجتمع العربي مثل براون وريلند ومبولدي وسوى من ذكرنا هنا كثير ممن انصف الحضارة العربية وتكلم عن المجتمع العربي إن لم يكن منحازاً فلاشك كان موضوعي الطرح.

أما ما كان على المستشرقين فهو الآخر كان حاضراً ممن سخر علمه للمستعمر بل تجاوز به الأمر أن ساهم عملياً في تقديم الصورة السلبية عن المجتمع العربي كالمستشرق بالمر.

والموقف العلمي من الفكر العربي يحتم أن لا يصدر مواقفه بناء على تسمية الاستشراق وإنما على المواقف العلمية، فمن وقف ودرس المجتمع العربي منصفاً لا متحاملاً كان الاجدر، النظر إليه نظرة علمية والاخذ بأحكامه في الدراسة والتحليل، ومن كان على الجهة المقابلة، هو المتحامل على المجتمع المنطلق من مواقف مسبقة ضد مجتمعنا العربي، وهذا يحتم بالضرورة معاداته وفضح امره حتى إن كان خارج الاستشراق.

أَمَّا المراحل التاريخية للاستشراق فإِنَّه ضمن فمن المنسجم مع المحتوى الاستشراقي فأنه يمكن تقسيم الاستشراق إلى ثلاث مراحل: الأولى منذ بداياته مطلع القرن السابع عشر وحتى منتصف ومطلع ستينات القرن العشرين، وكانت جل الدراسات عن المجتمع العربي دراسات بتاريخ المجتمع العربي الديني والأدبي واللغوي والفلسفي والفكري منه، وكان جل الكراسي العلمية التي استحدثت في الجامعات الأوربية هي كراسي لغة وفلسفة.

أما المرحلة الثانية فتبدأ مع نهاية المرحلة الأولى وكثيراً ما سمي الاستشراق هنا بتسمية استشراق ما بعد الاستعمار او الاستشراق الجديد، وقد سلط هذا الاستشراق ضوئه على الجوانب الثقافية ومظاهر الحياة العامة ومن ابرز مستشرقي هذه المرحلة وقد كان منهم علماء اجتماع لهم دورهم في ابراز ملامح الحياة الاجتماعية امثال (جاك بيرك) و(ازست غيلتر) وسواهم (جون واتروبوي) و (بول باسكون) و(دانيال ليونر).

المرحلة الثالثة: وتتمثل بالمرحلة الاستشراقية المقارنة والنقدية التي بدأت مع نهايات القرن العشرين وتفاقمت بعد احداث( 11 سبتمبر ) والتي اخذت على عاتقها اجراء المقارنات بين الاديان المسيحية واليهودية والهندوسية والإسلام، ومحاولة التأصيل لمصادر الفعل السياسي الحديث، ويعمل على نقد الدين من منطلقات والهوية والقيم، ومصيرهما ضمن اطار الحداثة، ومحاولة التنبؤ بالأحداث والتفسير السياسي لها ممثلة بأعمال مايكل كوك، وبرنارد لويس.

المبحث الخامس : المجتمع العربي كدالة لثنائية الشرق والغرب في الدراسات الاستشراقية

نال المجتمع العربي عناية كبيرة إلى جانب اهتمام الدين في اهتمام المستشرقين ومن هؤلاء كارل بروكلمان الذي تعددت اهتمامه إلى جانب المجتمع خاصة في ميدان الأدب العربي ومواطنه الانجليزي جب صاحب كتاب المجتمع الإسلامي والغرب بجزأين وجرونباوم الذي اهتم بالوضع الحضاري للمجتمع العربي– المسلم في العصر الوسيط.

ولاشك هناك الكثير من اسماء المستشرقين مما لم ترد في هذا التصنيف.. كما أن هناك قضية أخرة تتعلق بهذا التصنيف وهو أنه لا يعني أن الاسماء التي وردت في حقول المعرفة لم تكتب في غيرها.. بل أن كثيراً من المستشرقين من تعدد اهتماماتهم فكتبوا في العديد من التصنيفات.

وتجدر الإشارة إلى نوع من الاستشراق تمايز عن المألوف في الاستشراق ذلك هو الاستشراق الإسباني الذي استعاظ عن اصلاح الاستشراق بمصطلح الاستعراب أو الاستفراق، أو ممن استعمل هذا الاصطلاح جنباً إلى جنب مصطلح

الاستشراق كما هو الحال عند المستشرقين لوبيث غارسيا ونابي، مورااليس ليشكانو فكتور لاقتصار بحوثهم على الإنتاج الفكري العربي في الأَندلس، ولتعلق ذلك الإنتاج بمتغير الهوية والهوية الغيرية.

ولذلك فقد تباينت الدراسات التي تناولته بتباين المناهج والأَهداف والغايات الموضوعات، بل وحتى باختلاف الجغرافية.

ولذلك من العلمية أن نعرض الثلاث نماذج للدراسات الاستشراقية عن المجتمع العربي الأولى تعاملت بفوقية الغربي في تعاملها مع المجتمع العربي لدانيال وارنر، والثانية لجاك بيرك الذي انتهى به الامر مستعرباً، والثالثة من زاوية العلاقات الثقافية المتبادلة بين الفكر المسيحي والفكر الإسلامي بما يسمى بزاوية الهوية والغيرية ممثلة بميجيل اسين بلاثيوس.

1. دانيال ويرنر: نظرية التحول الديمقراطي. قام دانيال في دراسته الاستشراقية أن يقدم نموذجاً للغربنة الأوربية– الامريكية بالذات في دراسته عن المجتمع العربي في كتابه "تجاوز المجتمع التقليدي. تحديث الشرق الأوسط".

1. طبيعة دراسته. إن الدراسة في عمومها تكاد أن تكون نظرية نفسية اجتماعية عن التحديث والتغيير الاجتماعي والذي تحفزه وسائل الإعلام بتمويل من الخارجية الامريكية أَواخر الأَربعينات فقد كان الغرض الأصلي من البحث هو ما إذا كان الناس في الشرق الأوسط يستمعون إلى إذاعة صوت امريكا، والتأكد من ردود افعالهم تجاهها.
2. فكرة دراسته. إن الانتقال من التقليدي إلى الحديث يمكن أن تحفزه وسائل الإعلام وأنه لا يمكن الانتقال دون وجود نظام متطور من وسائل الإعلام، ودون تقنية حديثة، ويجري الانتقال نحو التحديث بشكل تدريجي ولذلك انتهى أنه لابد للغرب أن يسعى نحو بناء شرق اوسط جديد يصبح الإسلام في حالة دفاعية امام روح العقلانية والروح الايجابية. وهو يعتقد أن النموذج الغربي يصلح أن يكون اساس في تحقيق التنمية الشاملة.

2. جاك بيرك: يعد بيرك من المستشرقين الذين اصروا على التعامل مع الواقع الحي لا النصوص اللغوية أو الأدبية فكانت مادته العلمية المجتمع ذاته.

وانطلق في دراسته الاستشراقية من نقد الحداثة الغربية التي اخذ عليها تصورها واخفاقها في أن تكون شاملة داعياً إلى تجاوزها ل إلغائها، لأنه يعتقد في النهاية أن العقلانية التكنلوجية مكسباً للبشرية.

وفي علاقة الغرب بالمجتمع العربي، ذهب بيرك إلى أنه يمكن إعادة الحوار الديني بين الإسلام والمسيحية، وكما أن الإسلام يحترم الطبيعة التي جُبل عليها الإنسان، وأن المسيحية تحترم الشخص الذي في الإنسان، وهذا بالذات هو نقطة تلاقي الإسلام مع المسيحية.

1. طبيعة دراسته. اجتماعية يمكن أن تشكل دراسته عن الاستشراق في كتابه "البنيات الاجتماعية في الأطلس الكبير-1910-1955" دراسة نقدية عن التصور الاستشراقي الاستعماري- أو القديم الذي كان يعتقد أن محورية السياسة، انطلاقاً من إعادة صياغة مفهوم القبيلة وانتماءاتها القرابية في ضوء علاقة الاقتصادي بالاجتماعي متبنياً فرضية تنتمي إلى الأُطروحة الانقسامية.
2. فكرة دراسته. الطابع العام بجهد بيرك الاستشراقي هو وقوفه امام الاتجاه الاستشراقي الاستعماري، ومحاولته بناء افكاره الاستشراقية على اساس الموجود الاجتماعي، فعلى سبيل المثال كان اختيار بيرك لقبيلة سكاوة لتكون مادة لأطروحة دكتوراه (البنى الاجتماعية في الاطلس الكبير) لأنها لم تعرف قبل دراسته تدخلاً للسلطات الاستعمارية على خلاف المناطق الأُخرى التي شهدت تغييراً في بناها الاجتماعية.

ولعل هذا هو أحد الأسباب التي جعلته ناقداً للإدارة الاستعمارية التي عمل فيها قبل تحوله الفكري لنعرة المجتمع المغربي.

3. دراسته الاجتماعية: دارت دراسة بيرك حول المعنى الاجتماعي وقد آراء لاقت بعض النقد من آرائه أن مفهوم الجد المشترك هو وهم وليس حقيقة، وهمه يؤدي وظيفة التماسك الاجتماعي، منطلقاً من فلسفة أن عمليات الدمج

بين الأنساب لعدد من القبائل قد حدثت بين العديد من القبائل المختلفة نسباً ثم ما لبثت أن تسمت بجد واحد لأسباب عديدة ظروف الغزو أو الهجرة أو المنطقة الجغرافية.

ويضيف بيرل إلى ذلك نقطة أُخرى تتعلق بالجغرافية والبنية الاجتماعية بحيث لا يمكن بحيث لا يمكن في نظره فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية دونما رد ما إلى مستوى مورفولوجية الأرض. وفي طرحه هذا عن المجتمع المغربي لم ينفرد بيرل إذ وافقه على ذلك المفكر المغربي عبد الله العروي.

3. ميجيل أسين بلاثيوس: فيلسوف أسباني يمثل مكانة هامة في التاريخ المعاصر للاستشراق العالمي، افرغ جهداً كبيراً لدراسة الفكر الإسلامي في مجالات التدريس وتدبير شؤون المؤسسات الثقافية وفي التأليف ومنها كتابه (في اللغة العربية الفصحى وفي نموها) واهتمامه الكبير بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام والتصوف الإسلامي الذي استقطب اغلب جهود ميجيل أسين بلاثيوس.

1. طبيعة دراسته: مثل ميجيل بلاثيوس الطابع العام للاستشراق الإسباني الذي كان فيه نقطة الانطلاق في العصر الحديث وذلك بالبحث عن الهوية والغيرية.

أما موضوع الهوية فهو ما تم وصف العلماء المسلمين- العرب- في الأَندلس من أبن صاعد إلى أبن رشد ومنها أبن المسرة وأبن باجة بأنهم علماء اسبان، فالهوية رابطة لهم جميعاً كاسبان تجمعهم مع سواهم من الإسبانيين ويؤكد على هذه الهوية هو ومن تبعه من المستشرقين الإسبان، أما موضوع الغيرية: فهو الإنتاج الفكري الذي تمايز ما بين المسلمين كاسبان حسب تصوره وبين الإسبانيين أو المسيحيين الإسبان إذ عكس الإنتاج الفكري الإسلامي الطبيعة الشرقية الإسلامية التي تمايز عن الطبيعة الغربية المسيحية.

2. فكرة دراسته: قامت على بحث العلاقات الثقافية والتبادلية المعرفية ما بين الإسلام والمسيحية، وخاصة تأثير الإسلام على المسيحية وعرض ذلك في

بحثه عن العلاقة بين بن رشد والقديس وبين توماس الاكوبني، واستمر في مجمل دراسته على تبيان تلك العلاقة ومنها ولعه بتتبع التأثيرات والمؤثرات المتعلقة بالكوميديا الإلهية لدانتي التي لا ترجع إلى محاكاته أو تعامله مع افكار أو معتقدات أو اساطير ثقافته الأصلية وإنما ترجع إلى تقليده للنماذج الإسلامية التي وردت في الإسراء والمعراج، فقارن بين جميع فضاءات القيامة ومشاهدها المختلفة في الثقافة الإسلامية وبين ما جاء في الكوميديا الإلهية عن نفس هذا الموضوع، ليستدل على أخذ هذه الأخيرة من تلك الثقافة وتقليدها ومحاكاتها.

المبحث السادس : الدالة الثنائية (المجتمع العربي) الاستشراقية في المرحلة الحضارية العالميَّة:

في جميع الأَحوال أن دراسات المستشرقين هي آراء لعلماء بذلوا جهداً في دراسة المجتمع العربي بنتاجاته العلمية اللغوية والأدبية والطب والفلك والتاريخ... تمايزت هذه الآراء بمنهجيتها وأيدولوجيتها، وبالتالي هي انعكاس لدوافع أما أن تكون علمية أو غير علمية... وفي جميع الأحوال ولاشك في ذلك هناك اتجاهات ثلاث في هكذا دراسات فهي متعاملة وأما متعاطفة وأما محايدة. ولكل اتجاه منها تصوراته النظرية.

من زاوية علم الاجتماع أن الموقف تجاه المستشرقين عموماً يمكن تفسيره من زاوية ما يسمى بالمواقف القبلية للتصورات الاجتماعية على أن هذه المواقف القبلية تمت صياغتها في ظل اوضاع وظروف اجتماعية وسياسية معينة اكتسبت رضا اجتماعي جعلتها احكاماً قيمية يتبناها البعض، خاصة أن لهذا التبني مسوغات حقيقية حين يتم الاستشهاد ببعض المواقف على اساس انتقائي.

والحكم على عمل المستشرقين انطلق من هذه القبلية وهي عموماً كانت سلبية تجاه الاستشراق، خاصة وقد تم تصويرها على أنها اعمال فكرية هدفها الهدم والحط من الحضارة العربية.

إلَّا أَنَّه من غير المقبول التسليم بهذا الرأي لأنه هناك دراسات استشراقية ساهمت في ابراز الوجه الناصع للحضارة العربية وفي الحفاظ على تراثنا المسلوب من القوى الاستعمارية.

وإذا جاز لنا أن نقوم ببعض النقد تجاه الدراسات، فأنه أولاً علينا أن نستبعد المدسوس منها والمجافي لمنطق العلم وأن نخضع للنقد ما كان علمياً بغض النظر عن موقفه الايدلوجي سواءً المؤمن بالمجتمع العربي أو بالذي تصور وفق رؤى استعمارية.

لنأخذ دانيال ليرنر في منطقهِ الاستعماري، يوجد في تراث علم الاجتماع الصراعي القديم منه والحديث فكرة تقول أنه من الطبيعي أن يوجد في العالم قوى عظمى وآخر دونها وأن العظمى ليس في الجانب العسكري فقط وإنما في جميع مجالات الحياة وهذا يؤهلها لأن تفرض إرادتها على ما دونها.

كما أن التاريخ أيضاً قال إنَّ المغلوب تبعا للغالب، والمغلوب هنا أيضًا ليس مغلوباً من الناحية العسكرية فقط وإنما من جميع النواحي.

ونحن نعتقد أن دانيال في نظريته عن التحول الديمقراطي كان ضمن دائرة هذا المنطق، فأمريكا بحكم عظمتها الدولية تصدر ما تريد والعرب أيضاً بحكم المغلوبية يتلقون ما تريده أمريكا على أَنَّ الأَمر والتلقي ليس بالضرورة أن يكون عسكرياً، على سبيل المثال تصدير تقنيتها الاتصالاتية تجعلنا متلقين بالضرورة ما تريد أن تصدره لعجزنا أو تخلفنا أو قصورنا في متابعة أمريكا في تقدمها العلمي.

إلَّا أَنَّ النقد الذي نوجهه إلى ليرنر، أمه في طرحه حول بناء مجتمع حديث قد تجاهل حقيقة لا يمكن تجاوزها وهي أن المجتمع المغلوب قد يأخذ بالتقنية لكنه ليس من السهل أن يأخذ بالفكر الغربي، فللعرب تراث وحضارة وفكر حي مهما حاولت القوى العظمة والحاقدة أن تغيبه فأنه يبقى حاضراً في الساحة؛ لأَنَّه فكر حي.

وحلمه بالرفاعية التي سيتبناها الإسلام حلم يوتيوبي لا يتحقق حتى في احلامه، ذلك أن الإسلام ومن الناحية الواقعية واجه قويات متعددة لم تنل منه، لأنه دين حي، استطاع أن يتماشى في جميع الأَزمان وفاتته أيضاً حقيقة اجتماعية أُخرى

أن التحديث ليس بالضرورة ينهي ديانات الشعوب فهذه دول جنوب شرق آسيا الإسلامية قد تبنت التحديث وانتفضت على تقليديتها وهي لما تزل إسلامية حقيقية، محافظة على طقوس وشعائر وممارسات الإسلام السمحى.

أمَّا جاك بيرك في تصوراته الاستشراقية التي طرحناها فإنَّه لم يحاول أن يأتي بشيء من خارج المجتمع في وصفه للقبيلة المغاربية بل أن حديثه عن الجد الوهمي لم يكن طعناً في حد ذاته وإنما تأكيداً على عمق الهوية أو الشخصية العربية- القبلية في تأكيدها على العلاقات الاجتماعية، ومحاولة اضفاء صيغ قانونية- شرعية تتمثل بالنسب لقبائل متعددة جمعتها اوضاع وظروف معينة في مكان واحد ربما لدرء خطر ما أو لغرض تعاون هدف بقاء القبلية، تناسى الاختلاف النسبي مع تقادم الزمن فصار الجميع بنظر الجميع منتسبون لجد واحد وفي هذا الاتجاه حدثنا ابن خلدون من تعيين عمر أَنَّ الخطاب زعيم لقبيلة بجيلة هو احد فرسانها وأَشدائها، حتى اعترض على هذا الأمر بعض كبار السن قائلين له أنه ليس بجيلي.

النقد الذي نوجهه لبيرك يتعلق بتفسيره الواقعي، الذي لم يراعَ تأثير (وهمية النسب بالنسبة للعربي) فهذا يعد طعناً في صفاء العربي وهو المشهور بسلامة النسب فالانتساب دموياً ولم يكن قط وهمياً والمأخذ أنه لم يفكر بما يمكن أن يصيب الباحث من ذمٍ يشكك في نسبه منطلقاً من اطروحته الاولى وهي البحث عن الحقيقة من الواقع الاجتماعي على أن هذه القضية كان قد وجدها ابن خلدون في المجتمع المغاربي وعالجها ضمن مفهوم الموالي ليس غريباً على مجتمعنا العربي وربما لو أن بيرك ناقش مفهوم الجد في ضوء التراث الاجتماعي الخلدوني لم يلاق النقد الذي وجه إليه.

وفي العموم يمكن أن يلاحظ على الدراسات الاستشراقية بعض المتغيرات التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار عند قراءة الاستشراق.. منها:

1. التباين الثقافي، لاشك أن المستشرق ينتمي إلى بيئة ثقافية غير البيئة الثقافية العربية، ومن هنا ربما كانت بعض تفسيراتهم انطلقت من بيئتهم فجاءت دراستهم من بعض الوجوه متحاملة فمقايستهم للفكر العربي بالفكر الأوربي يفرز مفارقة

وهذه المفارقة ينسحب على الجهتين القارئ الأوربي، فيجد الفكر العربي ربما قاصر ذلك أن المستشرق اعتمد ثوابت أوربية هي صحيحة بتصوره والصورة معكوسة عن القارئ العربي الذي يجد المستشرق متحامل عليه وفات الطرفان عامل الفارق الثقافي.

وضمن هذا السياق معالجة بيرك الذي اعتمد الواقع بدلالة العقل، وهذه المنهجية الواقعية العقلانية، هي في ضوء دلالة الفكر الأوربي مقبولة وفي ضوء مقاييس المعرفة العلمية عموماً، إلى أن مقايسة لمفهوم الجد الوهمي افرغت واقعيته من دلالتها الاجتماعية، حين فاتته قضية النسب الدموي فتصورة في ضوء العقل الأوربي مقبول، لكن ذات التصور غير مقبول عند العقل العربي.

2. الهوية الجغرافية والاختلاف الثقافي: إذا كان المستشرقون على العموم تعاملوا مع المجتمع العربي على أنه آخر ثقافياً فأنهم بلا شك وجدوا فيه مغايراً جغرافياً، وكانت هذه الجغرافية متمثلة (بمفهوم الشرق) فالبيئة الأوربية ربما كانت على الأقل عند المؤمنين منهم بتفوق الغرب على الشرق مؤشراً على الاختلاف، إلا أن ذلك كان مع خلاف الاستشراق الإسباني، الذي وجد في الجغرافية وحدة مكانية جعلته يعتقد باسبانية الفكر الإسلامي بالنسبة للمفكرين الأَندلسيين ومنها على سبيل المثال بعد ترجمة كتاب طوق الحمام لأبن حزم التي انجزها ايميليو جارسيا نمو ميت جعل من مؤلف هذا الكتاب عربياً اسبانياً مصراً على وضع مفردة اسباني بين مزدوجين معللاً بأن الإسبانية: ماهية تاريخية صرفة وهذه شكلت فارقة في البحث الاستشراقي تلك الفارقة تمثلت لم تجد في الإسلام ما وجدته عند بقية المستشرقين ممن طعنوا فيه ووجدوا فيه نداً لهم على الأقل عند غير المنصفين من المستشرقين، تلك المفارقة تمثلت بأن الإسلام إنما استمد من المسيحية، وما فيها، وأن كان هناك من عارض هذه الفكرة بالقول إنما المسيحية الموجودة في الإسلام إنما دخلت هي عليه بتأثير الفلاسفة المسيحيين، الذين اقحموا التراث النصراني بالتفسير الفلسفي.

3. مصدر الخبر، يشكل مصدر الخبر أهمية في الدراسات الاجتماعية، لكن المصدرية لا تتيح امكانية التعميم، كما لا تقدم مصداقية مطلقة، من ذلك أن تعيد بناء مجتمع حديث ونلغي مجتمع تقليدي عمره تجاوز الألف ونيف من السنين بناءً على آراء مجموعة استمعوا إلى إذاعة صوت أمريكا سبها اورد ليرنر.

ومن هنا فأنه يمكن القول أن المنطلقات والمرتكزات في الدراسات الاستشراقية جاءت لتعكس مفهوم المرحلة الحضارية، التي عاشها المجتمعين العربي والأوربي- الذي شكل الوجه العالمي لمفهوم الاستشراق، ولعل الانتقالات الزمنية للاستشراق وامتداداتها إلى منتصف القرن العشرين بل وحتى مطلع القرن الواحد والعشرين عندما كانت تحمل تلك الدراسات توجهات سياسية، تضمن بعضها، تأمين الجهود لطمس نعالم الشرق بمفاهيم العولمة والهوية الثقافية العالمية إنَّما يصب في صلب المفهوم للمرحلة الحضارية التي اشرنا إلى أنها حقبة زمنية تطول أو تقصر.

إنَّ ميزة العالمية غي الاستشراق كمرحلة حضارية تمثلت بصورة واضحة في مثال الاستشراق الإسباني، فالإسبان كمجتمع محلي إن جاز التشبيه تخلف عن الركب العالمي الاستشراقي إلَّا أَنَّه لم يُقدَّر له البقاء بعيداً عن الجهود الاستشراقية العالمية، فما كان له إلَّا أَنَّ تتداخل محليته مع العالمية الاستشراقية وامتزج ذلك التداخل في الطابع العام الذي جاول فيه أن يحول الفكر الإسلامي إلى مجرى جغرافي يتوحد فيه الغرب الإسباني، بالشرق الإسلامي وخير مثال على ذلك الاحتفال بالفلاسفة والاحتفاء بالفلاسفة المسلمين الذين يمثلون الشرق، على أَنَّهم فلاسفة عالميون.

أَمَّا فاعلية هذه المرحلة الحضارية فأنها بدأت تفقد بريقها بعد التطور الحضاري للمجتمع العربي وانتشار الجامعات فيه وظهور المحققين والباحثين الذي كان لهم دور كبير في الحد من فاعلية هذه المرحلة عندما كانت اليد الطولى لها للمستشرقين الأوربيين، بما كشفه هؤلاء المفكرون العرب من اتجاهات للكثير من الدراسات الاستشراقية وبما ميزوه من انطباعات علمية موضوعية أو منحازة صادرت اصالة الفكر العربي فتنامت الفاعلية العربية في هذه المرحلة، وأن كانت بطبيعة الحال لم تبلغ بعد الفاعلية الأدبية، إلى أنها استطاعت أن تكشف عن جانب مهم كان للحضارة العربية في النهضة الأوربية.

**- الخاتمة:**

**سعى البحث في عرضهِ لموضوع الثنائية بين الشرق والغرب إلى القول بأنه دائماً على مر التاريخ، هناك مراحل حضارية تظهر تكون محركة للتاريخ والحياة الاجتماعية، يدول ضمن فلكها المفاهيمي مجمل مناشط الحياة الاجتماعية، وقد مثلَ الاستشراق مرحلة حضارية، وحاول إخضاعها للتأصيل النظري لمفهوم المرحلة الحضارية، وانتهى في ذلك إلى أن للاستشراق منطلقات تماشت ومنطلقات المرحلة الحضارية العالمية التي تسمى بها العالم آنذاك وهي مرحلة الاستشراق كمرحلة حضارية عالمية مُخضعاً في ذلك الشرق والدراسات الاستشراقية كدالة للثنائية بين الشرق والغرب.**

**-المصادر**

- **جون سكوت, علم الاجتماع المفاهيم الأساسية, ترجمة: محمد عثمان, الشبكة العربية للأبحاث والترجمة, د1، بيروت، 2009.**
- **سلسلة كتب الثقافة المقارنة- الاستشراق، ع1- ك1- 1987، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد.**
- **شفيق إبراهيم صالح, المصطلح الاجتماعي والبرنامج القومي في ضوء المرحلة الحضارية, دار غيداء للتوزيع- عمان، ط1، 2020م-1441هـ.**
- **عبد الرحمن بدوي, موسوعة المستشرقين, دار العلم للملايين، بيروت، 1984.**
- **عبد المنعم الحفني, الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية, دار المسيرة، بيروت، 1980.**
- **محمد عبد الواحد العسري, الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني, مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 2003م.**

- مايكل كوك/ أديان قديمة وسياسات حديثة- الحالة الإسلامية من منظور مقارن، ترجمة: محمد مراس المرزوقي- الشبكة العربية للأبحاث والنشر- بيروت، ط1، 2017.
- محمود مهدي زقزوق, الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري, سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، ط1، 1404هـ.

## References

- John Scott, Sociology Basic Concepts, Translated by: Muhammad Othman, The Arab Network for Research and Translation, Volume 1, Beirut, 2009.
- A series of books on comparative culture - Orientalism, vol. 1 - vol. 1 - 1987, the House of General Cultural Affairs, Baghdad.
- Shafiq Ibrahim Salih, The Social Term and the National Program in Light of the Civilizational Stage, Dar Ghaida for Distribution - Amman, 1st edition, 2020 AD-1441 AH.
- Abd al-Rahman Badawi, Encyclopedia of Orientalists, House of Knowledge for Millions, Beirut, 1984.
- Abdel Moneim El-Hefny, The Critical Encyclopedia of Jewish Philosophy, Dar Al-Masirah, Beirut, 1980.
- Muhammad Abd al-Wahed al-Asri, Islam in the Perceptions of Spanish Orientalism, King Abdul Aziz Public Library, Riyadh, 2003.
- Michael Cook / Ancient Religions and Modern Politics - The Islamic Case from a Comparative Perspective, Translated by: Muhammad Maras Al-Marzouqi - The Arab Network for Research and Publishing - Beirut, 1st edition, 2017.
- Mahmoud Mahdi Zaqzouq, Orientalism and the Intellectual Background of Civilizational Conflict, a quarterly series issued by

the Presidency of Sharia Courts and Religious Affairs in the State of Qatar, 1st edition, 1404 AH.

# *Civilizational Stage and Oriental Studies - Arab Society and the Dualism of East and West : An Analytical Study*

**Shafiq Ibrahim Saleh** *

**Nadia Sabah Al Kababji****

## Abstract

Force has an active role throughout history, and the term force is originally based on military, technological, cultural, religious and economic force to form a tool that dominates what is below it. However, in most cases there is a civilized stage that goes beyond the concept of power to extend beyond the hegemonic power of the superpower, and history has provided us with many of these civilizational stages, for example the civilizational stage of the meeting of the East with the West in the Hellenistic stage after the conquests of Alexander the Great.

In our perception that Orientalism represented a civilized stage that we tried to root for and a global civilizational phenomenon whose effects extended in its European locality in the interest in the East to its human universality, with its scientific aspirations that transcended the colonial interests that accompanied its emergence, which we tried to explain with a scientific methodology based on the logical sequence in the scientific narrative.

The research dealt with: the civilizational stage - concept and effectiveness, and a reference to Orientalism and the classifications of studies in it, then the Orientalist position and its historical stages, and the study of Arab society as a function of the duality of East and West in Orientalist studies, and finally this function was dealt with

* **Prof /Department of Sociology/College of Arts/University of Mosul.**
** **Prof /Department of Sociology/College of Arts/University of Mosul.**

within the scope of the concept and effectiveness of the civilizational stage, and then concluded the research with a conclusion after it was presented to it with an.

**Key words:** civilizational stage, orientalism, effectiveness, Arab societyntroduction.